

باب الثاني

الحياة المسلمة

obeikandi.com

## أسلوب المؤمن

أورد البخاري في «كتاب التفسير» من صحيحه رواية ضمن تفسير سورة الحجرات، عن ابن أبي مليكة قال: «كاد الخيَّران أن يهلكا، أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم. فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي. قال: ما أردتُ خلافاً، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم . . .﴾ الآية. قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه».

هذا هو أسلوب المؤمن. فقد يرفع المؤمن صوته على الله ورسوله في حالة النسيان أو الجهل بخطورة ما يعمله، ولكنه يُخفِّتُ صوته فور أن يعلم بخطورة ما يقوم به.

ولم يكن هذا مطلوباً في عصر الرسول ﷺ فحسب، بل هو مطلوبٌ اليوم كذلك . . والفارق بين الحالتين هو أن رافعي الصوت كانوا يتلقون التنبيه والإنذار من الرسول ﷺ مباشرة، أما اليوم فسيقوم بذلك شخص آخر باستخدام إشارات من القرآن الكريم والحديث النبوي . ولو بُيِّنَ حكم الله ورسوله أمام أي شخص اليوم فعليه أن يخفض صوته تماماً، كما قام به أهل الإيمان في العصر الأول.



## الحياة الإسلامية

اختلف أهل التصوف فيما بينها حول ما هو الأفضل : حياة العزلة أو حياة الاختلاط الاجتماعي .

ولكن لاشك في أن الحياة الإسلامية الحقيقية تقتضي المعيشة في المجتمع . وقد قال النبي ﷺ : « لا رهبانية في الإسلام » . وقد منع الرسول ﷺ عدداً من الصحابة الذين عبّروا عن رغبتهم في الحياة الإنعزالية بعيداً عن الناس .

والحياة الانعزالية غير مقبولة ؛ لأن الإنسان يُحرم بسببها من التعليم والتعلم ، اللذين لا بدّ منهما للارتقاء الإنساني العقلي ، كما أن الإنسان ينشأ بهذا الأسلوب على الصبر على الشدائد ومواجهة العداوات ، ويجد الفرص لخدمة البشر .



## لا يفصلنا عن الآخرة سوى جدار موهوم

يوجد في منطقة دَهْنَاد بشرق الهند منجم للفحم مهجور منذ سنة ١٩٤٥ ، وقد امتلأ هذا المنجم بالمياه على مر الزمن . وفي سنة ١٩٧٤ حفر منجم جديد على مبعده ٨٠ قدماً من هذا المنجم القديم . وكان المنجم الجديد يحتوي على كل الآلات الحديثة ، وقد جرى تخطيطه وتنفيذه بتنسيق مع البنك الدولي وخبراء أجنبية . وكانت مسافة ٨٠ قدماً بين المنجمين تعتبر فاصلة آمنة . ولكن في ٢٧ ديسمبر ١٩٨٥ حدث ثقب كبير في هذه الفاصلة بين المنجمين ، وأخذت مياه المنجم الأول تتدفق إلى المنجم الثاني بقوة وسرعة رهيبتين ، لدرجة أن المنجم الثاني امتلأ خلال ثلاث دقائق فقط . . ومات كل من كان داخل المنجم غرقاً ، وعددهم ٣٧٢ من عمال ومهندسين ، في هذه المياه التي بلغت كميتها مائة مليون غالون . ولم ينج إلا عامل واحد كان قد خرج من المنجم قبل الحادث بدقائق معدودة .

هذا الحادث صورة مدهشة لحياتنا نفسها . فنحن لا يفصلنا عن الآخرة سوى جدار الموت الموهوم ، ونحن معرضون في كل لحظة لخطر انفجار هذا الجدار ليفجؤنا طوفان حقائق الآخرة بدون سابق إنذار ، وحينذاك لن تسعفنا قوانا أو ألعابنا الكلامية ، وسيقف كل منا دون

نصير أو شفيع أمام ربه . وكل الذين سحرتهم مغريات الدنيا، حتى لم يعودوا يقبلون الاستماع إلى النصح والإنذار، سيُقذف بهم إلى جحيم الفشل والهلاك الأبديين . ولن ينجو من هذا المصير المحتوم إلا الذي أعد نفسه لمواجهة يوم الحساب أمام خالق الكون .  
أذكى الناس هو الذي يُسخر نفسه إعداداً لمواجهة ذلك اليوم الآخر. . .



## الترتيب الحقيقي

خصصت دائرة المعارف البريطانية نحو سطرين من هذه السطور التي تقرأونها لذكر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . ولكن اسمه هو الواحد والخمسون في قائمة عظماء التاريخ المائة الذين اختارهم الكاتب الأمريكي مايكل هارت في كتابه «المائة» .

ويوضح هذا المثال ورود اسم شخص ما في التاريخ أو عدم وروده ، أو وروده بتفصل أو باقتضاب ليس معياراً في حد ذاته حول أهميته . فالمؤرخون أحياناً يحذفون شخصية ما رغم أنها هي أهم شخصية كان ينبغي عليهم تناولها بالتفصيل ، وهم يبرزون أحياناً شخصيات أخرى رغم أنها لا تستحق مجرد الذكر .

ومما كتبه الدكتور مايكل هارت عن عمر بن الخطاب : «انجازات عمر مؤثرة للغاية . ويمكن أن يتعجب البعض من أن عمر -المجهول تقريباً في الغرب- هو أعلى مكاناً في هذه الدراسة من رجال مشهورين مثل شارلمان ويوليوس قيصر . ولكن الحقيقة هي أن فتوحات العرب تحت قيادة عمر الباهرة -مع الأخذ في الاعتبار اتساع رقعتها ودوامها- هي أهم بكثير من أعمال كل من قيصر وشارلمان» (المائة ص ٢٥٧) .

لم تكثر دائرة المعارف البريطانية بعمر الفاروق، بينما اعتبره مايكل هارت الشخصية الواحدة والخمسين بين عظماء التاريخ المائة. واسمه هو الثالث في قائمة عظماء التاريخ الإسلامي. ما أكثر عباد الله الذين يعتبرهم الكُتَّاب والمتحدثون غيرَ ذي أهمية حتى لذكر أسماؤهم. ولكن سيتصحح هذا الخلل يوم القيامة، وسيكتب اسم الكل هناك في مكانه الصحيح الذي يستحقه حقاً، بدلاً من المكان الذي وضع فيه في الدنيا نتيجة أهواء البشر.



## الدنيا دار امتحان

ولد عمر بن بحر بن محبوب الكناني (١٦٣-٢٥٥هـ) بالبصرة، وتوفي بها، وهو يعرف عموماً باسم «الجاحظ»، ويُعتبر من أئمة الأدب العربي، وكان حريصاً على مطالعة الكتب لدرجة أنه ترك كتاباً على صدره حين مات مفولجاً. ومن كتبه «البيان والتبيين»، وقد كتب في مقدمته الدعاء التالي:

«اللهم إنا نعوذ بك من فتنة القول، كما نعوذ بك من فتنة العمل. ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن، كما نعوذ بك من العجب بما نحسن. وتعوذ بك من السلاطة والهذر، كما نعوذ بك من العي والحصر».

الدنيا مكان امتحان، فالامتحان جزء - بأسلوب أو آخر - من كل شيء هنا. ولذلك يجب على الذي يخاف من بطش الله يوم الآخرة أن يعوذ به تعالى في كل معاملة من معاملاته، وأن يستنصر به في كل شأن من شؤون حياته.

وامتحان الدنيا الحقيقي ليس في ما «حصل» عليه شخص ما أو «أضاعه»، بل الامتحان الحقيقي هو في ردِّ فعله إزاء «الحصول» أو «الضياع». ويجب عليه أن يحتاط في قوله تماماً كما يحتاط في عمله.

ويجب عليه أن ينظر إلى ما يقوم به من «عمل» بنفس المعيار الذي يستخدمه إزاء ما «لا يعمله» . . يجب عليه أن يقيم الدليل على عبوديته لله تعالى ، حين يكون قادرًا على غيره من البشر تماماً كما يقيم الدليل حين يكون عاجزاً أمام آخرين من البشر.

النجاح في الدنيا امتحان ، والفشل في الدنيا امتحان كذلك .  
فالإنسان هنا يحاسب على عمله كما يحاسب على ما لا يقوم به من عمل .



## « قل: اعملوا .. »

قد أنشأ الله تعالى كونه على أُسُسٍ غايةٍ في الإحكام والدقة . فلا تنبت شجرة ما بطريقة سحرية ، ولا تقفز كرة من كرات الكون فجأة من مكانها إلى موقع آخر ..

وفي مثل هذا الكون المنظم نحن ننتظر ميلاد «الصالحين» ، الذين سيأتون بالمعجزات لإصلاح أحوالنا .. نحن نبحث عن «قائد» فذٌ يخلق للأمة مستقبلاً جديداً بإشارة من عصاه السحرية ..

على الذين يعيشون بآمالٍ كهذه أن يعرفوا أن مثل هذه الوقائع الطلسمية المعجزة لن تحدث في عالم الله هذا . ولو كانوا يفضلون أن يعيشوا متشبثين بالأوهام فما عليهم إلا أن يرحلوا عن كوننا هذا إلى كون آخر يطابق أوهامهم .



## النقد

لماذا يغضب الناس من النقد الذي يوجه إليهم؟ السبب في ذلك هو أنهم يعتبرون النقد بمثابة الإهانة . وما كانوا ليغضبوا لو اعتبروا النقد اختلافاً في الرأي .

ومن أقوى العواطف الكامنة في نفس كل إنسان أن يرى نفسه عزيزاً كريماً، وهو لا يحب الإهانة لنفسه بأي حال من الأحوال . وهو حين يسمع أو يقرأ نقداً موجهاً إليه فهو يعتبره -نتيجة نفسيته المذكورة- هجوماً على كرامته ووقاره . وهذا هو السبب في أنه يشتعل غضباً بمجرد سماع النقد، ويجاوم أن يسكب كل ما لديه من غضب على ناقده .

ولا شك في أن النقد من أمر الأشياء لكل إنسان، ولا فرق في هذا بين العوام والخواص، وهناك نوعان فقط من الناس الذين ينجون من الغلو عند النقد .

أولهما: الإنسان الذي يخاف الله تعالى حق الخوف، وهو الإنسان الذي يدرك عظمة ربه أعمق الإدراك لدرجة أن وجوده البشري يفقد كل أهمية في نظره، فهو قد آمن بصغره وهوائه نتيجة إيمانه بعظمة الله . ومزاجه هذا جنة ضد انفعاله واشتعاله غضباً عند سماع النقد . فلم سيغضب لو كان النقد تصغيراً له، فهو قد صغر نفسه بالفعل بإدراك عظمة خالقه .

أما الإنسان الآخر الذي لا ينفجر عند سماع النقد فهو: ذلك الإنسان الذي تمكن منه المزاج العلمي بمعناه الحقيقي . والعلم يعني دراسة الحقائق الخارجية الطبيعية . وعقلية عالم الطبيعة تقول بأن الحقيقة هي ما يجده في الخارج وليس ما هو موجود مسبقاً في عقله . هذا المزاج العلمي يسلب من الإنسان العالم حبه للذات ، ويجعله ميّالاً إلى الواقعية . ونتيجة هذا المزاج العلمي أنه حين يُواجه مثل هذا العالمُ النقدَ فهو ينظر إليه بطريقة موضوعية بفصل ذاته عن ذلك النقد ، ويتوجه نحوه إلى حقيقة مغزى النقد وليس كونه جارحاً لذاته . أما الذي يشتاظ غضباً بسماع النقد ، فهو يقيم الدليل على أنه لا يتمتع بالتقوى ولا بالمزاج العلمي ، ولو تعرض للنقد فهو حريٌّ بأن يُنقَد .



## زلزلة أشد

نشبت النيران في منطقة أدليد من أستراليا في فبراير ١٩٨٣ ،  
فحرق ٧١ شخصاً أحياء ، وحوّلت ثمانية آلاف شخص إلى لاجئين  
دون مأوى . وقال أحد رجال الإطفاء الذين شاركوا في إطفاء هذه  
النيران : «إن الإنسان هنا يقف عاجزاً في مواجهة الطبيعة . وقد يبدو  
الأمر درامياً إلا أنه لم يكن أي مقدار من الوسائل المادية والشجاعة  
البشرية أن تسعفنا هنا» (الغارديان ، ٢٧ فبراير ١٩٨٣) .

وما قاله رجل الإطفاء هذا حول النيران ينطبق بصورة أشد على  
الزلازل . فالزلازل تعريف أولى بقوة الله اللانهائية ، التي سستجلى يوم  
القيامة . . فسيحين وقتٌ يحطّم الله تعالى هذا العالم بزلزال عام  
وأشد ، وسيقف الإنسان عاجزاً تمام العجز أمامه .

ستندثر الجبال يومذاك كذرات من رمال . وستطغى موجات البحر  
على البر من جراء التلاطم الشديد . وأفخم المدن ستتهار كقشة في  
طوفان . ولن يكون في العالم كله من ملجأ يلجأ إليه الإنسان للنجاة  
من ذلك الزلزال العظيم .

وسيكون ذلك نهايةً لهذا العالم وبدايةً لعالم جديد . وكل ما حصل  
عليه الإنسان في العالم الراهن هو لامتحان ، أما ما سيحصل عليه في  
العالم القادم فهو جزاء لما قام به في حياته الدنيوية .

وسيتجلى خالق الكون ومالكه في ذلك اليوم ليحاسب كلَّ البشر.  
وسيتيم الفرز بين البشر . . الصالحون في جانب والأشرار في جانب  
آخر. وسيكتب للصالحين حياة طيبة وللأشرار حياة سوء وألم وشقاء .  
وسيكون على الكل أن ينعم بإنعامه ، أو أن يشقى بجزائه إلى الأبد .  
زلزال اليوم نذير بالزلازل الأشد القادم . والعاقل هو من يرى الغد في  
مرآة اليوم فينصرف إلى الإعداد لغده قبل حلوله . . فلا فرصة للإعداد  
إلا اليوم ، بينما الغد سيكون فرصة للجزاء والعقاب لا غير.  
والمعتبر من الزلازل هو من يرى في زلزلة اليوم زلزال الغد .



## أهمية الاتحاد

روى أبو سعيد الخدري أن الرسول ﷺ قال: « إذا قمتم (للصلاة) فاعدلوا صفوفكم ، وسدّوا الفُرجَ » .  
وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه : « إن من وصل صفّاً وصله الله ، ومن قطع صفّاً قطعه الله » .

وروى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « رصّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنها الحذف » (أبو داود والنسائي) .

وقد وردت روايات كثيرة في كتب الحديث تأكيداً على إحكام الصف عند الصلاة بالجماعة ، وتقول بعض هذه الروايات : إن الشيطان يدخل من خلل الصف ، والبعض فضل معنى هذه الروايات اللفظي رغم أن المدلول اللفظي غير عملي هنا ، لأنه حين يمدّ مصليان أرجلهما يحدث فُرج بين رجلَيْ كل مصلي حتى تتمكن الحذف (صغار الضأن) من الدخول عبره .

هذه الروايات لا تتحدث عن هيئة ظاهرية ، بل عن حقيقة من حقائق الحياة . فالمطلوب من المسلمين أن يعيشوا حياتهم كلها بمنتهى الاتحاد . إنه يجب عليهم أن تتسم كل أنشطتهم بالاتحاد ، وأن يكون في

كل عمل من أعمالهم مظاهر للوحدة . فحتى لو خرج بضع مسلمين مسافرين وجب عليهم أن يختاروا واحداً منهم أميراً عليهم ، وأن يسافروا وحدة واحدة في ظل إمارته . وحيثما تناقص الاتحاد بين المسلمين تسلل الشيطان إلى صفوفهم وضيّع مصالحهم .  
ولو كانت العلاقات بين المسلمين تعاني من الفرقة فلن يخلو مجتمعهم من الفتن ، سواء أكان ذلك داخل المسجد أم خارجه .



## الجهاد الإسلامي

«الجهاد» يعني المبالغة في بذل الجهد فيقال: «جهدتُ رأيي». وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ (المائدة: ٥٣).

والإسلام جهاد من أوله إلى آخره . . فحين يدخل المرء الإسلام فهو يدخل حياة مجاهدة، تستمر إلى أن يدركه الموت، وهو يظل يجاهد في سبيل مرضاة الله .

والجبهة الأولى للجهاد هي نفس المرء ذاتها، فحين يقول شخص ما إنه مؤمن ومسلم فهو يعاهد بأنه سيكبح الدوافع النفسانية، وسيحارب التمرغيبات الشيطانية؛ ليمضي على صراط الله المستقيم. وهذا ما يعبر عنه الحديث النبوي الشريف الذي يقول: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

والجبهة الثانية للجهاد هي الدعوة؛ أي بذل أقصى الجهد لنقل رسالة الله إلى عباده، وهو عمل عظيم يصفه القرآن الكريم بالجهاد الكبير: ﴿وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ (الفرقان: ٥٢).

وقد نزل دين الله لكل البشر وكل الشعوب، فيجب إبلاغ دين الله إلى أهل الأرض كلهم بمراعاة الآداب والمقتضيات الضرورية، والدعوة -من هذه الناحية- أعظم أنواع الجهاد، فلا جهاد أعظم منها.

والجبهة الثالثة للجهاد هي الدفاع . فلو اعتدى أعداء الإسلام على أهل الإسلام وفشلت التدابير للوقاية من هذا العدوان ، وجبت مقاومة المعتدين - بشرط الاستطاعة وإلقاء الهزيمة بهم ودحرهم . وهذا النوع الثالث من الجهاد هو ما يسمى في الشريعة بالقتال في سبيل الله .

وجهاد النفس وجهاد الدعوة عملان دائمان مستمران كل يوم وكل لحظة من حياة المؤمن والمؤمنة . أما جهاد الأعداء فأمر طارئ ومؤقت يزول مع زوال العدوان . وهدفه الدفاع الذي يُلجأ إليه في حالة مبادرة طرفٍ خارجي بالعدوان .



## الإسلام بين المظاهر والروح

يعني إسلام العبد أن يصبح الله وقضية الآخرة جزءاً لا يتجزأ من حياته . . أن يتجدد لقاء العبد بالله -على المستوى الروحاني- باستمرار . . ولكن حين يصاب المؤمنون بالجمود والانحطاط تغيب عنهم روح الإسلام ، ولا تبقى لهم منه سوى المظاهر والشكليات ، فيهبط من مستواه الرباني إلى المستوى البشري . . فتخمد مشاعر حب الله والخوف منه ؛ لأنه تعالى غائب عن الأنظار، ويروج تقديس «الآلهة» المنظورين من الأجبارة والرهبان . . وينتهي البكاء أمام الله والتضرع إليه في خلوات الليل الهادئة، وتروج التلاوة والخطب بالمذيع ومكبرات الصوت . وتكف الصلاة عن إنارة القلوب، بينما أضواء الجوامع تبهر الأبصار . . يخلو الصيام من الصبر والتقوى، ويكثر الاهتمام بالإفطار والسحور . . تغيب روح الشكر والسجود أمام الخالق في الأعياد، بينما بريق الملابس والأسواق يخلب الأنظار . . هكذا يهبط من مستواه الرباني إلى مستواه البشري .



## حين يراقبك الأسد

جيم كوربيت رجل إنجليزي جاء إلى الهند سنة ١٩٠٧ ، وبلغه بعد مجيئه بقليل أن هناك عدداً من الأسود الآكلة للبشر في منطقة كومايون بشمال الهند ، فحمل بندقيته وتوجه إلى غابات كومايون ، وفي نفس السنة قتل ببندقيته أسداً كان قد التهم ٤٣٠ شخصاً من قبل .

وأمضى جيم كوربيت ٢٢ سنة في غابات كومايون حيث أعدم برصاص بندقيته أكثر من ١٢ أسداً من أكلة البشر. والجائزة الوحيدة التي حصل عليها كوربيت - لقاء هذه البطولات التي عرض فيها نفسه للخطر مراراً - هي الطمأنينة القلبية ؛ بأنه جعل قطعة صغيرة من الأرض آمنة تمشي عليها الفتيات الصغيرات .

وقد سجل كوربيت تجاربه هذه بتفصيل في كتابه «أكلة البشر بكومايون» Man-eaters of Kumaon وهو يقول في كتابه هذا: «أن القرب من الأسد في ضوء النهار، حتى لو لم يكن قد رآك، يسبب لك هيجاناً في الدورة الدموية، ويتحول الهيجان إلى إعصار حين لا يكون الأسد أسداً عادياً بل أكلاً للبشر، وتكون الساعة العاشرة في ليلة مظلمة وأنت تعرف أن آكل البشر يراقبك» .

الإحساس بأن الأسد قريب مني وأنه يراقبني يثير طوفاناً في دم الإنسان . فما بالك لو تملكك اليقين بأن الله - الذي هو خالق كل الأسود وكل السماوات والأرض - قريب منك ويراقبك بحيث لا يمكنك إخفاء شيء من شؤونك وأسرارك عنه؟ . .



## لا تكن الخامس فتهلك

قال الرسول ﷺ: «كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً، ولا تكن الخامس فتهلك».

العلم المطلوب في حديث الرسول هو العلم الذي يتيح للإنسان معرفة الله وأحكامه، ومن الناس المثقفون والجهلة، والعاقلون والأغبياء؛ ولذلك حدد الرسول أربع درجاتٍ مراعاةً لأحوال الناس، وأمرنا بأن نكون ضمن إحدى هذه الدرجات الأربعة.

فالمطلوب الأول أن تتعمق في استيعاب كتاب الله وسنة رسوله، وأن تبذل الجهود اللازمة للوصول إلى المعرفة الصحيحة.

وإن لم تصل بعدُ إلى هذه الدرجة، فعليك أن تكون عارفاً بجهلك فتبدأ دراسة العلم الحقيقي وتصبح طالب علم القرآن والسنة النبوية.

ولو أدركت - بسبب أحوالك - أنك غير قادر على اكتساب العلم، فلا بد أن تعترف في قرارة نفسك بأنك لست عالماً ولا طالب علم . .

والقرار الصحيح في مثل هذه الحالة هو أن تصبح مستمعاً، تتوجه إلى مجالس العلماء وتنصت إلى ما يدور فيها من أحاديث العلم. ولو

شعرت أنك غير قادر حتى على هذه الدرجة، فلا بد أن تشعر بالحرمان وأقله أن تحبّ الذين اكتسبوا شيئاً من العلم. وهذه أدنى

درجة يقبلها المؤمن لنفسه في حياته الدنيوية.

والدرجة الخامسة ليست الهداية بل هي الضلال ، وهي أن يكون الإنسان جاهلاً بالحقائق ثم يُصرُّ على الجدال والخصام ، أو أن يسخر حياته كلها لتعلم علوم لا تمت إلى علوم الدين بصلة ، أو أن يتوجه إلى مجالس لا يذكر فيها اسم الله ولا تتداول فيها أحاديث الدِّين ، إلى أن ينتهي به المطاف إلى احترام أناس ليسوا من علماء الدِّين ، بل ممن سخروا أنفسهم لاكتساب علوم أخرى لا أهمية لها في يوم الدين . هذا هو الإنسان الخامس . ومن وجد نفسه على هذه الدرجة فليتأكد أنه قد «هلك» ، اللهم إلا إذا تاب وجاهد ليصبح واحداً من الأربعة الأوائل .



## التكالب على الدنيا

لو تعمقت في دراسة المجتمع فستجد أن كل الناس يتهافتون على المكاسب الدنيوية، كل الناس من غنى وفقير، وجاهل وعالم، وصغير وكبير، يلهث وراء مغريات الدنيا، ولو شعر أحدهم أن يستطيع أن يحصل على ذرة من المتعة أو الثروة أو الشهرة أو المنصب فهو يجري لاهثاً وراءها، وكأنه يقول بلسان حاله: «هذه الأشياء لا توجد عند الله، فلمَ لا أفوز بها هنا» !!

وأغرب شيء في هذا الصدد هو أن الذين يظنون أنهم متمسكون بالدين هم لا يختلفون عن غيرهم . . وهم لم يتخلفوا عن أحد في جريهم وراء بعض الإمكانيات التي انفتحت لهم في العصر الحديث . وشوقهم لا يقل عن أي إنسان آخر في هُأَئِهِم وراء المناصب والاستعراضات والحفلات والاشتراك في المؤتمرات والاستقبالات ونشر الأخبار في الصحف وما إلى ذلك من حب البروز والدعاية للذات . . . ويبدو أن الذي يخطب عن الآخرة لا يؤمن بها، وإن كان يؤمن بها فما أضحل إيمانه الذي لا يظهر في سلوكه الشخصي .



## التقوى والأخلاق

سُئِلَ رسول الله ﷺ - فيما رواه الترمذي - عن أكثر ما يُدخِل الناس الجنةَ ، قال : « تقوى الله وحسن الخلق » .

الإنسان عبد الله ، ولكنه يعيش في هذا العالم بين ظهراي كثيرين من عباد الله .

فعلاقته تقوم - معاً - بالله تعالى من جهة وبالأخرين من البشر من جهة أخرى ، وهكذا يخضع الإنسان لامتحان من نوعين ، عليه أن ينجح في كليهما . والمطلوب من الإنسان فيما يتعلق بالله أن يعتبره خالقه ومالكه ، وأن يتملّكه شعور بالعظمة الإلهية والكيفية القلبية التي تنتج عن هذه العقيدة ، وهذا الشعور هو ما يسمى بالتقوى .

الله عظيم والإنسان صغير . . الله قادر والإنسان عاجز . . الله معطي والإنسان متلقٍ . واعتراف الإنسان بهذه الحقائق يولّد فيه مشاعر التواضع أمام البشر والمسؤولية أمام الله ، وهو يقضي على مزاج الطغيان والتفرعن فيه . . فيبدأ حياة عامرة بحبّ الله والخوف منه في آين واحد .

وحيث يكون إنسان كهذا بين آخرين من البشر فيكون تعامله معهم مثلاً لحسن الأخلاق ، ويكون قوله علماً على التواضع ، وعمله رمزاً للعدل . . فهو يعيش وكأنه يرى الله تعالى أمامه يراقبه ، متيقناً من أنه

تعالى سيحاسبه عن كل قول وفعل . والأخلاق التي تظهر عن إنسان  
كهذا هي ما يسمى بحسن الخلق . والإنسان الذي يفوز في هذين  
الامتحانين هو الذي سيدخل الجنان الأبدية .



## بين الدين الإلهي والمذهب الوضعي

إلكزندر توسييكو فيلسوف روسي معروف يبلغ من العمر نحو خمسين سنة . وهو أستاذ بمعهد الاقتصاد الدولي والدراسات السياسية بموسكو . . قابله مندوب مجلة نيوزويك ، وأجرى معه حديثاً خاصاً ، نشرته المجلة في عددها الصادر في ٢٣ يوليو ١٩٩٠ . ومن هذا الحوار السؤال والجواب التاليين :

س : كيف تطورت أفكارك عن الماركسية؟ ماذا كان أهم شيء في تطورك الشخصي؟

ج : حين تقرأ كتاب (الرأسمال) لكارل ماركس فلا تكاد تصل إلى الصفحة الثالثة حتى يتضح لك كل شيء بدون لف ولا دوران ، والعبيط وحده يمكن أن يؤمن حقاً بالماركسية .

وكان ماركس قد ألف كتابه عن الاقتصاد الرأسمالي بعنوان (داس كابتيتال) بالألمانية . ونشر هذا الكتاب للمرة الأولى سنة ١٨٦٧ . وادعى الاشتراكيون أن هذا هو «قرآن العصر الحديث» ، وأن الإنسان لا يحتاج اليوم إلى الأنجيل أو القرآن ، بل يكفيهِ داس كابتيتال موجهاً وقائداً !!

وقد انهار سحر هذا الكتاب خلال قرن واحد فقط لدرجة أن مفكراً روسياً معاصراً يرى أنه كتاب لا يؤمن به إلا المغفلون .

والقرآن على العكس من هذا لا يزال يحافظ على أهميته منذ أربعة عشر قرناً . ولم يثبت في حق القرآن ، ولا الذي جاء به ، شيء ينال منها . ولا يزال القرآن «كتاباً لا ريب فيه» . وهذا دليل لا سبيل إلى إنكاره حول أحقية القرآن الأبدية .

ما أن صل الإنسان إلى «الصفحة الثالثة» من كتب البشر حتى تتضح له أخطاؤها . . أما القرآن فكتاب خالٍ من كل الأخطاء حتى «صفحته الأخيرة» ، وهذه الحقيقة العلمية دليل كافٍ على أن القرآن كتاب إلهي ، وأنه ليس من صنع البشر . .



## ليس كمثله شيء.

جاء في القرآن عن الله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١). فالله تعالى أعلى وأعظم من كل وجود في الكون، ومن كل ناحية. وعلوه وسموه هذا هو الذي يفرض أن يكون الله معبوداً لكل الموجودات الأخرى . . أن يركع الكل أمامه . . أن يعتبره الكل أعظم منهم وأن يرضوا بالعيش صغيرين أمامه .

إن الذات الإلهية قائمة بذاتها. أما الإنسان فلم يوجد إلا لأنه مخلوق، بينما الله تعالى أعظم من أن يخلقه أحد. فالوجود الإلهي مستقل بذاته، وهو موجود منذ الأزل وسيظل موجوداً إلى الأبد. وهو واحد ليس له من والد ولا ابن . . وليس له من كفؤ.

والله تعالى قادر على إبداع الوجود من العدم، وهو الذي أوجد كل ما لم يكن موجوداً من قبل. وما نراه في الكون من مادة وحركة، وضوء وطاقة، وشعور وحياة، هو كله من خلق الله . . فهو الذي أسبغ الوجود على كل شيء.

والله تعالى عالم الغيب . . وهو يعلم تمام العلم ما حدث، ويحدث، وسيحدث. وهو الذي دبّر الكون بحيث تتوافق كل أجزائه ويتوأم بعضها مع البعض الآخر فلا يحدث فيه نقص مطلقاً.

والله تعالى موجود حيّ . . وقد تجلّى عن النوم والإرهاق والضعف . . وهو يُدَيِّر كونه المترامي الأطراف بصورة مستمرة لا خلل فيها، وهذا هو السبب في أن الكون لا يزال يتحرك بنظامه البديع رغم مرور آلاف البلايين من السنوات على ظهوره، لم يتوقف خلاله لحظة واحدة، ولم يقع خلاله خلل واحد في حركته .

والله تعالى يملك القوة الكاملة، ولو لم يكن الله مالك القوة لما تمتع الإنسان بشيء منها . . والله تعالى بصير بكل ما أوجده من مخلوقات . . ولو لم يكن الله بصيراً لحُرِم الإنسان من نعمة البصر. والله تعالى يملك والإدراك الكامل . . والله تعالى مالك كل شيء وصاحب كل قوة. وهو يملك الصفات التي نعرفها والصفات التي لا نعرفها . . لقد تجلّت صفة الله «الخالقية» في العالم الراهن، وستجلى صفته أكثر «الحاكمية» في العالم الآتي.



## الغد آتٍ بعد كل يوم

كانت بنزير بوتو رئيسة وزراء باكستان لعشرين شهراً. ثم أقصاها  
الرئيس غلام إسحاق خان عن منصبها بتأييد من الجيش الباكستاني في  
٦ أغسطس ١٩٩٠ .

ويقال إن الفساد فاق كل الحدود في عهد بنزير. وقد نشرت  
الصحف وقائع وقصصاً كثيرة حول هذا، ومنها تقرير مفصل نشره  
س. وينتكانت نارايين مراسل صحيفة «هند وستان تايمز» بلاهور في  
عددها الصادر في ٢٢ أغسطس ١٩٩٠، ويقول هذا التقرير بعد ذكر  
وقائع متعددة:

إن أقارب بنزير وأعضاء حزبها كوّنوا ثروات وأملاكاً تقدّر  
بالبلايين. ومما قاله المراسل: «كان أصدقاء السيدة وأقاربها وأقارب  
زوجها المتنازع عليه آصف على زرداري مشغولين في إثراء أنفسهم كأنه  
لن يكون هناك غد بعد يومهم ذلك».

ومما قاله المراسل عن أقارب وحاشية بنزير بوتو هو نفس شأن كل  
البشر في ما يتعلق بقضية الآخرة. فإنسان اليوم مشغول بيومه، وهو  
يظنُّ أنّ الغد لن يأتي أبداً.

والناس ينكرون الحق كأنهم لن يسألهم سائل : لم أنكروا الحق؟  
والناس مشغولون بالكذب كأن أحداً لن يحاسبهم على ما يلفظونه من  
كذب . والناس قد أحلّوا أرواح الآخرين وأمواهم وشرفهم كأنهم لن  
يحاسبوا على تحليل ما حرمه الله . والناس يخرقون المبادئ كأن ذلك  
اليوم لن يأتي أبداً ، حيث سيجب عليهم أن يبرروا : لم خرقوا المبادئ  
الإلهية الأبدية لمنافع وقتية وزائلة .



## الجنة والجحيم

روى أبو هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : « ما رأيت مثل النار: نام هاربها ، وما رأيت مثل الجنة : نام طالبيها » (رواه الترمذي) .  
إن أكثر ما ينبغي للمرء أن يهرب منه هو الجحيم ولكنه نسيها تماما . . وينبغي أن تكون الجنة على رأس ما يطلبه الإنسان ، ولكنه غير طالباً لها . وهاتان الجملتان خلاصة لقصة كل البشر .

وما أعجب حال البشر هذا . . فالناس لا يخافون من الجحيم حتى على مستوى الشعور . وهم لا يطلبون جنة الله حتى على مستوى الأمان . وكيف يمكنهم - والحالة هذه - النجاة من النار والفوز بنعيم الجنة ؟ !

ومخاوف البشر تتركز على أشياء أخرى ، ومشاعرهم تلتهب لأمر آخر ، ومشاعر الخوف والأمل الكامنة فيهم مكرّسة لأشياء أخرى ، فكيف يمكن في مثل هذه الحالة أن يستحقوا رحمة ربهم ؟

لقد جعل الناس قضية الدنيا قضية قضاياهم ، ولم تعد قضية الآخرة قضية أحد منهم . ومركز أعمال الكل هي ثروات الدنيا وزعاماتها وقبولها وشهرتها ، وليس هناك من أحد يفكر في عطايا الآخرة ونجاتها . وليس هناك من أحد يجنُّ جنونه خوفاً من عذاب الآخرة وطمعاً في جنة الآخرة .

آه، لدينا بها كل شيء ولكن ينقصها الشيء الذي كان ينبغي أن يكون بها قبل كل شيء. آه، للإنسان الذي يعرف كل شيء ولكنه يجهل أهم شيء كان ينبغي عليه معرفته قبل كل شيء. هذه هي الغفلة الكبرى، وسيأتي يوم يدرك فيه الإنسان غفلته هذه. ولكن هيهات . . تلك المعرفة ستكون حسرة على صاحبها وليست فرصة لتلافي ما قد فات .



## أنصاف رجال

قلت لرجل كنت أتحدث معه: «كل الذين جربتهم وجدتهم أنصاف رجال، لم أجد رجلاً كاملاً. فكل شخص كان رجلاً بنسبة خمسين في المائة، ولم أجد رجلاً بنسبة مائة في المائة».

كل رجل خبير في إدراك «الحق» الذي يصيب الآخرين ويضرهم، أما «الحق» الذي يصيبه هو فلا أحد خبير بمعرفته، ولا أحد كريم الأخلاق إلا حين تقول أو تفعل ما يرضيه، ولا أحد كريم الأخلاق حين تقول أو تفعل ما لا يجبه. الكل حريص على فهم مصلحته، والكل أبله في فهم مصالح الآخرين.

كل الناس في عالم اليوم يتحدثون عن «المبادئ»، ولكن كل الناس بدون مبدأ من الناحية العملية، فهو يبحث الآخرين على العزيمة بينما يختار الرخصة ديناً له. الكل متقدم في ميدان الكلام والكل متخلف في ميدان العمل.

الكل ظالم ولكنه يعلن نفسه مظلوماً. والكل يسعى لمصلحته ولكن الكل يضع تاج الحق على رأسه. الكل يقف على الكذب ولكن الكل يتزين بلباس الصديق حين يظهر أمام الآخرين. الكل غير جاد ولكنه يضع على وجهه قناع الجد. الكل يسعى لذاته ولكنه يعلن أنه يقوم لأجل الدين والمبدأ لا غير.

الكل ينشر الظلام ولكنه يتحدث عن النور. الكل مندوب  
الخريف ولكنه يعلن نفسه ممثلاً للربيع. الكل يدير مشاريع التخريب  
ولكنه يرفع لواء البناء. الكل يدفع الآخرين إلى غار الموت ولكنه يعلن  
أنه فارس الحياة.

ولو قال الناس نفس ما عملوه، وعملوا نفس ما قالوه فسيُعرفون  
على الأقل بالصدق. أما في الحالة السائدة فلا أحد سيفوز حتى  
بوصف الصدق.

آه لدينا كل رجالها أنصاف رجال يعلنون أنهم الأكملون.



## أدوات الامتحان

حين يدخل الطالب قاعة الامتحان يجد مكانا فسيحاً، وكراسي وطاولات، وعمالاً يخدمونه، والنور، والماء، وأشياء أخرى كثيرة. ولكن الطالب لا يملك شيئاً من هذه الأشياء، فكل محتويات قاعة الامتحان أدوات للامتحان وليست أشياء للتملك، وللطالب أن يتصرف في تلك الأشياء طيلة مدة الامتحان، ولا تكاد المدة المقررة تنتهي حتى يُجَبَّر على مغادرة القاعة.

وهذه هي قضية الإنسان بالنسبة لسائر العالم. فليس هنا من شيء يمكنه الإنسان ملكية حقيقية وقطعية، بل كل شيء أُعطي له كأدوات الامتحان، فالجسد الذي يولد به الإنسان ونظام الأرض والسموات الذي يستفيد به وحتى الأشياء التي تبدوا وكأنه اكتسبها بعرق جبينه، هي كله من الله تعالى، وقد أعطيت له على سبيل الامتحان، ويحق له استخدامها إلى أن تأتي منيته، فحقه ينتهي بصورة كلية بمجرد مجيء الموت.

واختبار الطالب الذي يدخل قاعة الامتحانات هو أن يجيب على الأسئلة المطبوعة على ورقة الامتحان، وهو ناجح لو فعل ذلك، وفاشل فيما لو أخفق في الإجابة عليها.

وامتحان الإنسان في الدنيا هو ليرى الله تعالى ردَّ فعلنا إزاء امتلاك  
هذه الأشياء، أو كما جاء في القرآن الكريم: ﴿لننظر كيف تعملون﴾  
(يونس : ١٤). فقد أعطانا الخالق أسباب الحياة ثم تركنا أحراراً  
ليمتحننا: ﴿هل نشكر ربنا أو نكفر بنعمته﴾ (النمل : ٤٠).

فحياتنا قبل الموت هي فترة الامتحان، أما حياتنا بعده فهي فترة  
الجزاء. والذي يسلك طريق الشكر في حياته قبل الموت هو الذي  
سيظفر بالجنة الأبدية في حياته بعد الموت، وأما الذي يسلك طريق  
الكفر بنعم الله في حياته قبل الموت فسيكون من نصيبه الجحيم  
الأبدي بعد الموت.

